إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الحادية عشرة ـ العدد الرابع والأربعون ـ شتاء ١٤٠٠ش/كانون الأول ٢٠٢١م

صص ٥٥ ـ ٣١

تجلّيات عقدة النقص الأدلرية لدى الشخصية المحورية فى رواية طيور أيلول

زهرا فريد (الكاتبة المسؤولة)*

سعيدة فريد**

فرزانه رحمانيان***

الملخص

يعتبر النقد الأدبى التحليلى النفسى من الحقول الجديدة فى مجال النقد الأدبى، والذى يقوم فيه الناقد بتحليل ودراسة الزوايا الخفية والمظاهر النفسية الموجودة فى شخصيات العمل الأدبى، لكى يخضع النص لتحليل أمثل. حاولنا فى البحث الراهن إلى تحليل شخصية "منى" البطلة والشخصية المحورية فى رواية "طيور أيلول" لإميلى نصر الله الكاتبة والروائية اللبنانية فى ضوء نظرية أدلر فى علم النفس الفردى؛ إذ أن هذه الرواية تناقش الإحباط والنبذ عند النساء فى المجتمعات الريفية اللبنانية، حيث كن يعانين من الشعور بالنقص وانعدام الذات والوحدة؛ ومن ضمن هذه الشخصيات "منى" بطلة الرواية. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفى – التحليلى ضمن إطار نظرية أدلر فى علم النفس الفردى، وتبحث مسلّمة أساسية من مسلمات نظريته، وهى عقدة النقص وملامح تكوينها فى شخصية "منى" وانعكاسات هذا الشعور فى سلوكياتها، ثم اتخاذها آليات لتعويض ذلك الشعور. وتوصلت هذه الدراسة إلى أن بعض العوامل مثل البيئة الاجتماعية والتقاليد القاسية خاصة وجهة نظر والد منى الاستبدادية والإحباط فى الغرام، والفقر، أوجد عقدة النقص لديها، ولقد توسلت منى لتعويض هذا النقص بطرق غير اعتيادية ومتوهمة مثل اللجوء إلى التعويض الخيالى والهروب من الأسرة والواقع المعاش فى المجتمع، والتى لا تترك فى النهاية آثارًا إلا خيبة الأمل والشعور بانعدام الذات.

الكلمات الدليلية: النقد الأدبى التحليلى النفسى، ألفرد أدلر، عقدة النقص، طيور أيلول، إميلى نصرالله.

*. أستاذة مساعدة فى اللغة العربية وآدابها، جامعة الزهراء، طهران، إيران z.farid@alzahra.ac.ir

. طالبة دكتوراه فى علم النفس، فرع قم، **جامعة آزاد الإسلامية، قم، إيران
saeedefarid1@gmail.com

***. أستاذة مساعدة فى اللغة العربية وآدابها، فرع رامهرمز، **جامعة آزاد الإسلامية**، رامهرمز، إيران
dr.rahmanian82@gmail.com

تاريخ الاستلام: ١٤٤٣/٠٢/٠٥ق تاريخ القبول: ١٤٤٣/٠٦/٢٣ق

المقدمة

عُرف علم التحليل النفسى وبتبعه النقد التحليلى النفسى وتطبيق التحليل النفسى للآثار والأعمال الأدبية، منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على يد العديد من المفكرين وعلماء النفس مثل فرويد ويونغ وأدلر. وهؤلاء المفكرون قاموا بالاتجاه نحو الأدب واستخدامه لاستكشاف نفسية المؤلفين والشخصيات الأدبية لإثبات نظرياتهم، وهذا التحول سبّب ظهور النقد التحليلى النفسى فى الأدب بشكله المألوف اليوم. (صنعتى، ١٣٨٢ش: ٥٠-٥١) على سبيل المثال يمكن أن نذكر أن ألفرد أدلر صاحب نظرية علم النفس الفردى أى عقدة النقص، والتى نحن بصدد تطبيقها، استلهم وجهات نظره من أعمال شكسبير الأدبية وكتابات مؤلفين مثل دوستويفسكى وستندال. (اسبربر، ١٣٧٩ش: ٣٤)

يسعى الناقد فى النقد التحليلى النفسى والذى يعتبر تخصصًا مستحدثًا بين عدة اختصاصات فى الحقول الدراسية، لاستخراج الزوايا الخفية والسلوكيات المتعارضة والأعراض النفسية فى الشخصية الخاضعة للتحليل بعد فحص النصوص الأدبية وتمحيصها ، وإعدادها للتحليل النفسى.

ينطوى النقد الأدبى التحليلى النفسى على طرح مواضيع فى مجال اللاشعور الفردى والجمعى للأعمال الأدبية وهذا ما أكسبه مظهرا من التنبؤ بالمستقبل والرمزية. (شميسا، ١٣٨٨ش: ٢٠١)

يمكننا تقسيم النقد الأدبى التحليلى النفسى إلى أربعة أشكال حسب المجالات التى يعالجها، فهذا النقد يمكن أن يطبّق على الكتّاب أو محتوى النصوص أو البنية النظرية أو قراءة القارئ، وأكثر أشكال النقد الأدبى هو من النوع الأول أو الثانى. (إيجلتون، ١٣٦٨ش: ٢٦٤)

فى هذه الدراسة نرمى إلى تحليل شخصية "منى" الراوية والبطلة فى رواية طيور أيلول، والتى تعتبر فى الحقيقة ساردة لتفاصيل يومياتها، انطلاقًا من نظرية أدلر فى علم النفس الفردى التى تميزت بمبانيها المنسقة، مما جعلتها تتألق فى عالم النقد التحليلى النفسى، وبهذه الطريقة نصل إلى مفاهيم جديدة ضمن مجال التحليل النفسى فى هذه

الرواية. إن غوص الكاتبة فى تجارب الشخصيات الذاتية وتفاسيرها الدقيقة لسلوكياتها، وأسلوب حياتها، أوجد مجالاً مناسبًا للدراسات النفسية لتلك الشخصيات. اخترنا شخصية "منى" من بين الشخصيات فى الرواية لاعتبارين؛ الأول كونها الشخصية المحورية فى الرواية والثانى لكونها تمثل بنات جيلها والنساء فى المجتمع القروى فى لبنان بصورة عامة.

تهدف الدراسة إلى مناقشة أسباب إيجاد عقدة النقص لدى شخصية منى فى المجتمع المحيط بها باعتبارها أنثى وامرأة، وتجليات هذا الشعور الخفية والظاهرة والآليات المتخذة لتعويضها.

أسئلة البحث

نحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما أهم العوامل المؤثرة فى تكوين وإنشاء عقدة النقص لدى شخصية منى؟
٢. كيف تتجلى مظاهر عقدة النقص فى سلوكيات منى؟
٣. ما هى الآليات الدفاعية والنفسية التى اتخذتها منى للتعويض والتخلص من هذه الاختلالات النفسية؟

فرضيات البحث

١. يبدو أن الجو الثقافى والاجتماعى المسيطر على المكان الذى تعيش فيه منى والأسرة والعادات والتقاليد القروية الصارمة من جملة العوامل المؤدية إلى إيجاد الشعور بالنقص فى هذه الشخصية والشخصيات المماثلة لها من حيث الجنس.
٢. من التجليات النفسانية لعقدة النقص لدى شخصية منى يمكن أن نذكر: عدم التطابق الاجتماعى والهروب من الواقعيات فى المجتمع واللجوء للانزواء.
٣. يبدو أن منى قد توسلت بأساليب وطرق التعويض السلبى، مثل الهروب من القريه واللجوء الى الأحلام للتخلص من هذا الشعور.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفى التحليلى على ضوء نظرية علم النفس الفردى، ليدرس الشخصية المحورية لرواية طيور أيلول "منى". للكاتبة اميلى نصرالله وانطلاقًا من هذا قمنا باستخراج العبارات والجمل التى ترتبط بموضوع البحث وعالجناها على اساس أصول نظرية أدلر ومسلّماتها، لكى ندرس أسباب الشعور بالنقص لدى منى وطرق الخلاص منها، وأيضا نمط الحياة وتأثير العلاقات الاجتماعية فى تعويض هذا الشعور.

خلفية البحث

صدرت عدد من الدراسات فى مجال الأدب العربى على ضوء نظرية أدلر من أبرزها: " دراسة وتحليل شخصية ابن الرومى على ضوء نظرية عقدة النقص لأدلر" لمجيدى وآخرين (١٣٩٤ش)، لقد قام المؤلفون فى هذه المقالة بدراسة شخصية ابن الرومى من خلال أشعاره وتوصلوا الى نتائج تقول أن بعض الأحاسيس المتواجدة فى شعر هذا الشاعر مثل الحسد والتشاؤم والنفور ترجع إلى وجود عقدة النقض لديه.

ودراسة (التحليل النفسى لهجاء الحطيئة على ضوء نظرية أدلر وهورناى) للباحث أميرى وآخرين (١٣٩٤ش)، حيث يرى مؤلفو هذه الدراسة أن هجاء حطيئة هو انعكاس للمشاكل البيئية والنفسانية والتى من جملتها احساس النقص والعدوانية وانحلال الشخصية. بالإضافة لدراسة (إشكالية التوفيق بين الدونية والتبعيض فى قوة أدونيس وشاملو الإبدائية انطلاقا من اتجاه أدلر النفسى) للباحث نودهى وآخرين (١٤٣٩ش)، ولقد توصل مؤلفو هذه الدراسة إلى هذه النتيجة التى تقول أن أدونيس وشاملو كليهما كانا يعانيان من عقدة النقص بسبب المشاكل التى تعرضا لها فى مرحلتى الطفولة والشباب وأن هذا الشعور قد أثر على شعريهما وأوجد جوا من البؤس والعتمة ودراسات مشابهة كثيرة قامت بدراسة شخصيات أدبية من منظور علم النفس الأدلرى وتطبيقها فى تلك الأعمال.

ولكن فى مجال دراسة الشخصيات فى الأعمال الروائية الأخرى يمكننا الإشارة

إلى دراسة (بازنمائى عقدة حقارت در شخصيت قهرمان داستان إمرأة عند نقطة الصفر تأليف نوال السعداوى) للباحثة صاعدى (١٣٩٤ش)، فى هذه الدراسة قامت الباحثة بدراسة العوامل التى سبّبت ايجاد عقدة النقص فى الشخصية المحورية للقصة وآليات تعويض هذا الشعور للتخلص منها، وتوصلت إلى أن بطلة القصة قامت بالتعويض الكاذب بهدف الخلاص من هذا الشعور مما سبّب ظهور مشاكل عديدة فى حياتها.

وفى مجال أعمال إميلى نصرالله هناك بحوث كثيرة، أجريت من قبل الباحثين مثل: (الهجرة والمرأة فى رواية الإقلاع عكس الزمن لإميلى نصر الله) للباحث كنجيان وآخرين(١٣٩١ش)، اذ أن موضوع هذه المقالة يدور حول المرأة والتحديات الاجتماعية التى تواجهها، وموضوع الهجرة فى آثار إميلى نصر الله وانعكاساتها السلبية والإيجابية، من جملتها قضية الهوية.

ودراسة (أساليب رواية الحوارات القصصية فى رواية "الإقلاع عكس الزمن" لإميلى نصر الله)، للباحثة نصيحت وآخرين (١٣٩١ش)، حيث قام الباحثون بدراسة أسلوب الرواية المذكورة وفق أسس الرواية، وكيفية انتقال حوار الشخصيات وتبادل الحديث بينهم.

كذلک دراسة (البحث عن الحرية ...رؤية نقدية لرواية "طيور إيلول" اميلى نصر الله) من آغا (٢٠١٨م) حيث تدرس المؤلفة فى هذه الدراسة موضوع رواية طيور أيلول والروايات الأخرى لإميلى نصر الله وتشير إلى أسلوبها الخاص فى بيان مشاكل المرأة اللبنانية فى المجتمع وتوصلت إلى نتيجة تبين فيها أن إميلى نصرالله من خلال معالجة مسألة الهجرة فى رواية طيور أيلول تريد أن تشير إلى ما هو أقصى من ذلک بكثير وهى القيود التى تحدّ من كتابات المؤلفين وتخنق أفكار أهل القلم فى الدول العربية لبيان ما يجول فى داخلهم بحرية.

وهناک رسالة موسومة بـ(دراسة وتحليل قصة "الرهينة" لإميلى نصرالله)، للباحثة عرب زادة جعفرى (١٣٩٢ش) قامت فيها الباحثة بدراسة إحدى الأعمال الروائية من حيث أركان الرواية فى الأثر المذكور ومعالجة موضوع المرأة ومشاكل واقعها فى المجتمع. وتوصلت إلى نتيجة تقول أن الروائية إميلى نصرالله فى هذا العمل الأدبى

عن طريق عرضها للأساليب الحديثة لفن كتابة القصة المعاصرة وعدم لجوئها للأساليب القديمة، استطاعت أن تسلط الأضواء بمهارة على أوضاع المرأة ومكانتها فى المجتمع اللبنانى وما يترتب عليها من جراء ذلک من محن وآلام وأن تصرخ بصوتها نيابة عن مثيلاتها وتطلب الحرية لهن.

وهناک رسالة جامعية أخرى تحت عنوان (مقارنة الأدب الريفى فى ايران ولبنان على ضوء الأعمال الأدبية لساعدى ونصرالله)، للباحثة صفربور بهدانى (١٣٩٠ش)، والتى قارنت بين أساليب القصة لدى الروائيتين للتعرف على مواضع التشابه والاختلاف. ومن نتائج هذه الدراسة نستطيع أن نشير إلى ما يتشابه لدى المؤلفين ساعدى ونصرالله من حيث استخدام اللهجة العامية والمضامين الموجودة فى القصص الريفية كتأثير الحرب والتوصيفات التى تتلاءم والأجواء القروية، كذلک فإن الإختلافات الاجتماعية والسياسية والثقافية بين االشعبين كانت سببا لوجود إختلافات فى الأعمال الأدبية لديهما.

مع أن شخصيات روايات إميلى نصر الله تتسم بالوصف الدقيق من حيث الحالات والأفكار والمشاكل النفسية والذاتية، وأن معالجة عقليات تلک الشخصيات تعتبر مجالا مناسبا للدراسات النفسية، فإننا لم نجد دراسة تطرقت للنقد الأدبى التحليلى النفسى فى الأعمال الأدبية لإميلى نصر الله؛ ولهذا تعتبر هذه الدراسة دراسة من منظور جديد ومختلف، حيث تسعى للوصول إلى إثراءات جديدة فى أعمال إميلى نصرالله الأدبية.

ملخص الرواية

تُعد رواية "طيور أيلول" أولى مؤلفات إميلى نصرالله الروائية والتى نُشرت فى عام ١٩٦٢م وحازت على ثلاث جوائز أدبية، وتمّ تجديد طبعها لسبع مرات. ولقد أبدت المؤلفة فى هذه الرواية تصويرا دقيقا وبديعا؛ لترسم جوانب من الحياة فى قرية تقع فى جنوب لبنان، وتطرقت إلى الحياة فى أجواء القرية ومعاناة أهلها من ظروف الحياة القاسية من حيث الثقافة والظروف الاقتصادية الصعبة والقيود التى تفرضها العادات والتقاليد هناک، والفجوة العميقة بين الجيل السابق والجيل الجديد.

وكمـا يدل عنوان الروايـة فإن رواية "طيور أيلول" تدل على نوع من الطيور التى تتجمع على شـكل أسراب لتهاجر فى شـهر أيلول عندما يكون الشتاء على الأبواب، أى الظـروف المناخية المفروضـة تُجبر الطيور على الرحيل والاغـتراب، وهذا إن دل على شـئ، يدل على هجرة شـباب القرية والهروب من الطقوس القاسية فيها إلى عالم أوسـع خـارج القرية للجرى وراء لقمة العيش، وتحكى لنـا عن قصص الضيعة وأهلها وقصص حب الشـباب غير المكتملة أو الفاشلة، والتى تتحول فى النهاية إلى الإحباط وأحاسـيس مكبوتة فى الأعماق. هذه الرواية تنقل لنـا النظرات الخاطئة تجاه المرأة وحرمانها من حقوقها فى المجتمع القروى. واسـتخدمت المؤلفة لروايتها أول شـخص أو الشـخصية المحورية أى البطلة التى تسرد الرواية من وجهة نظرها. الراوية هى فتاة تُدعى منى، والتى بعد هجرتها إلى المدينة شرعت فى سرد تفاصيل يومياتها فى القرية، الذكريـات التـى على الرغم من أنها تذكر فيها نقاء وصفاء وطبيعة القرية الآسـرة إلا أنها تحكى هموم ومشـاكل القرية كالفقر والبطالة وآلام الفراق والهجرة بأسلوب واقعى وانتقادى. هذه الرواية تنقل لنا قصص البنات اليافعات والشابات وأمنياتهن بالزواج والاقـتران وكيف يتحول الحـب عندهن إلى وهم.الفتيات اللاتـى كن ضحية للأفكار الخرافية والتقاليد المسـيطرة التـى تتحكم بكل الأمور، فلامناص لهـن فى النهاية الا الزواج القسرى من رجل لا علاقة حب بينهما.

الأسس النظرية

علم النفس الفردى لأدلر[1] ونظرية النقص

علم النفس الفردى مصطلح فى علم النفس يطلق على إحدى نظريات الشـخصية[2] التى أُسسـت على يد الفرد أدلر[3] (١٨٧٠-١٩٣٧) عالم النفس النمساوى، هذا الاتجاه النفسـى ذو وجهة نظر مستقبلية بالنسبة للإنسـان. ومن خصائصه أن عقليات وأفكار الإنسـان تجاه مستقبله تسـبب تكوين شـخصية الإنسـان، ومن ثم تترك آثارا على

1. individual psychology
2. personality theory
3. Alfred adler

سـلوكيات الأشـخاص. (أدلر، ١٣٦:١٤٥) ألفرد أدلر هو أول من لفت الانتباه للجانب الاجتماعى للإنسـان، وكان فى بدايات أعمالـه العلمية موافقا لأفكار فرويد، وعضوا فى جمعية التحليل النفسى "وينه" لفترة وجيزة ثم تولّى رئاستها لمدة وعندما قدم نظريته المغايرة لنظرية فرويد حول طبيعة الإنسان وسلوكه اصطدم بأعضاء الجميعة واضطر فى النهاية على الاسـتقالة لينطلق فى بحوثه المسـتقلة ونظامه الذى كان فى الجهة المغايرة لتحليلات فرويد ونظريته. (سياسى، ١٣٧٩ش: ٨١)

إن نظريـة أدلر فـى علم النفس الفردى تتشـكل من جزئين: نظريـة عقدة النقص وأسـلوب الحياة. وقد عدّ أدلر الإحسـاس بالنقص هو المصـدر العاطفى لكل الجهود والمسـاعى الضرورية للإنسان. فالنمو والتطور جهود يقوم بها الإنسان من أجل التغلب على هذا الشـعور بالنقص سـواء أكان تخيليا أم واقعيا. فى الحقيقة كان أدلر يعتقد أن الإحسـاس بالعجز أو النقص والفعاليـات الناتجة عن ذلک كلها لتعويض ذلک النقص وسببا لجميع التطورات التى تحدث فى حياة الإنسان. (آدلر، لاتا : ١٠٣-١٠٤)

ركّـز علم النفس الأدلرى علـى خلاف التحليل الفرويدى الـذى يؤكد على تأثير ماضى للأشخاص فى تكوين الشخصية، «على الشعور بالنقص، والعوامل الاجتماعية والسعى من أجل التفوق والكمال.» (آدلر، ١٣٧٩ش: ١٢٥)

على أسـاس نظرية أدلر على الرغم من أن الشـعور بالنقص أحيانا يسـبب تطور الشـخص فى المجتمع، ولـه التأثير الإيجابى عليه فى تعامله مـع المجتمع، إلا أن هذا الشـعور إذا لم يسـيطر عليه الإنسان، ولم يسـتخدم فى الأعمال المفيدة، فقد تتعمق تدريجيا وتتحول إلى عقدة التميز أو الكمال[1] والتى تعتبر نوعا من الاضطرابات العقلية النفسية أو العصبية. إن الشخص المصاب بعقدة النقص أحيانا قد يؤذى نفسه والآخرين، وأحيانا يسبب حب التميز والكمال المفرط أو الاعتزال والانطواء عن المجتمع.

ولكـن كيف تتشـكل عقـدة النقص؟ من وجهة نظـر أدلر «عقـدة النقص يمكن أن تنشـأ، وتتكون بثلاث طرق فى الطفولة: النقص العضـوى، والدلال والاهتمام المفرط، والإهمال. واسـتنتج أدلر أن الشـخص المصاب بعجز أو قصور فى عضو ما يحاول فى

1. superiority complex

الغالــب تعويض هذا النقص أو العجز بالعمــل على تقوية هذا العضو بالمزيد من العمل أو التدريب، وكذلک الدلال الزائد يمكن أن يقود إلى الشــعور بالنقص، إذ يكون الطفل هــو مركز الانتباه فى البيت، تشــبع كل حاجاته، وتحت هــذه الظروف، من الطبيعى أن تنشــأ لدى الطفل فكرة بأنه هو الشــخص الأكثر أهمية فى أى موقف. أما النوع الثالث من الأطفال فهم الذين ينشــأون فى ظل الإهمال الزائد، فيكون الطفل منبوذًا ومهملًا، وتتســم طفولته بانعدام الحب والطمأنينة، بســبب عدم اكتراث الوالدين أو تخاصمهما كنتيجة لذلک، قد تنمو لدى الطفل مشــاعر الدونية، وبالتالى فهو يفقد الثقة بالوالدين، وينظر لكل شخص بأنه غير موضع ثقته ويحاول تعويض هذا النقص بأشكال شتى منها العنف مع الآخرين.» (آدلر، ١٣٨٧ش: ٢٢)

شخصية منى وعقدة النقص

لبيان شــخصية منى وخصوصياتها يجب أن نشير فى البداية إلى البيئة الاجتماعية والثقافية للرواية ثم نبين أســلوب وطريقة حياة منى. إن أســلوب الحياة من وجهة نظر أدلــر، لــه دور مهم فى صوغ عقدة النقص. وهذا الأســلوب الذى يخص كل شــخصية بذاتها؛ يتشكل منذ الطفولة: «شخصية الفرد التى تتبلور فى فترة الطفولة والتى تسيطر على ســلوكياته وردود فعله. إن نمط الحياة هى الشــخصية عمليا.» (روى، ١٣٨٩ش: ٣٦) إن طريقة أســلوب الحياة أو نمط الحياة «تعكــس الاتجاهات والقيم العامة للفرد أو الجماعة، وتبين العادات والاتجاهات والمعايير الأخلاقية، والمســتويات الاقتصادية وغير ذلک كلها تصوغ الأفراد والجماعات.» (مهدوى كنى، ١٣٩٠ش: ٥١)

«يعتقد أدلر بأن أســلوب الحياة مكتسب من تعامل الطفل مع الوالدين الذى يحدث فى الســنوات الأولى من الحياة، ويتبلور بشــكل ثابت فى عمر الرابعة أو الخامســة، وســيكون تغيره صعبا بعد ذلک وهو كلانية متفردة فى الحياة والتى تتأطر فيها المواقف والاتجاهات والسلوكيات العامة.» (آدلر .١٩٥٦:١٤٥)

ترســم لنا إميلى نصرالله منذ بداية روايتها مشــهد الجمال فى القرية، قرية خضراء تحيــط بها أشــجار الزيتون والعنب وزقزقة العصافير وأســراب الطيور التى تهاجر فى

أيلول؛ لتأخذنا إلى عالمها النفسي المتأجج بين الهجرة من القرية أو البقاء فيها. ولقد قامت الكاتبة عن طريق رسم المشاهد التمثيلية ببيان ظروف المجتمع القروى اللبنانى وطرح المواضيع الرئيسة للرواية.

منى الشخصية الساردة للرواية والشخصية المحورية فيها، فتاة من أهالى القرية الذين ترعرعوا فيها، ونمت أناملهم بين تربتها، وهى قد تعرفت منذ نعومة أظفارها على طيور أيلول والشجن الذى تلقاه فى أثناء هجرتها فوق السطوح وبين الأزقة، وتأخذنا منى إلى طرقات ودروب وبساتين القرية، وتنتقل بين بيوت أهلها كما أشارت مرارا إلى البيوت المهدمة أو الخالية؛ لتكون رمزا للهجرة من القرية، شباب هاجروا وآباء وأمهات دُفنوا، وأصبحت بيوتهم خرائب تضيف حزنا إلى أحزان القرية. إن تاريخ القرية ملىء بمثل هذه الهجرات التى قام بها الشباب، ولكن يفتقر لهجرة الفتيات إلا لو حصلت بعد زواجهن؛ لأن هجرة الفتيات خطيئة عظيمة لا تغفرها ثقافةُ القرية. لقد ترعرعت منى فى قرية تميز فيها الصبى عن البنت، ولا تسمح طقوسها للأنثى بالتعليم، وليس لها بد غير الزواج والإنجاب ولا شىء سوى ذلک، والبوح بالحب فى قاموس القرية من المحرمات التى لا تُغفر: « أبغض المحرمات بمفهوم القرية.» (نصرالله، ١٩٩١م: ١٥٤)

المرأة مصيرها لآخر عمرها الزواج وتربية الأطفال وأداء وظائفها داخل البيت وخارجه من غير أن يسمح لها بالإدلاء بمشاعرها. لقد عاشت منى فى مثل هذه الأجواء، أجواء يعد فيها إعطاء الحرية للمرأة جريمة لا تُغفر: «البنات ما بتنعطى الحرية.» (المصدر نفسه، ١٦٤)

لقد تعرف الجيل الشاب عن طريق المهاجرين العائدين للقرية لقضاء عطلاتهم فى الإجازات على بعض الأجهزة الحديثة والتكنولواوجيا المعاصرة ورفاهية العيش فى المدينة مثل الإذاعة التى دخلت بيوت القرية، فالصورة التى رُسمت فى أذهان شباب القرية عن الهجرة هى صورة جميلة تعبر عن أشكال الرفاهية والثراء؛ لذا تشكلت لديهم مشاعر الحسرة بالنسبة للهجرة والحسد بالنسبة للمهاجرين. وكانت الرغبة فى الهجرة والتحرر من تقاليد القرية القاسية والفقر والعقليات الخرافية أيضا موجودة بين فتيات القرية؛ لأنهن أيضا كن يرغبن فى الهروب من هذه الأجواء والوصول للحرية: «السفر

هو السبيل الوحيد للهرب من هنا من أتون الشقاء.» (المصدر نفسه، ١٧٧)

ولم تستثنَ منى عن مثيلاتها من بنات القرية، فهى أيضا كانت ترغب فى الهجرة والتحرر، مع العلم أن شجاعتها فى إبداء رأيها وأفكارها وأحلامها كانت أكثر من صديقاتها وبنات القرية، وكانت وجهة نظرها بالنسبة لطقوس القرية تختلف عن كل بنات جيلها: «لست أدرى ماذا؟ غير أنى بقيتُ أنتظر، وأهرب من التفكير فى مصيرى ضمن تلك الحدود الضيقة.» (نصرالله،١٩٩١م: ٢٠٢)

لم تكن منى كسائر الشخصيات النسائية فى الرواية فهى تبحث عن ذاتها وهويتها وأحلامها، وقررت منى لتعويض مشاعرها بالنقص التى تكونت لديها بسبب كونها أنثى فى المجتمع القروى أن تهاجر إلى المدينة، وتكمل تعليمها حيث كان هدفها الدراسة والتحرر من القيود المجتمعية فى القرية؛ لتكون شخصية مستقلة؛ لذا بذلت قصارى جهدها للوصول لذلک الهدف. لقد كانت منى تعشق قراءة الكتب، على الرغم من أنها لم تجد فى القرية ما يناسبها من الكتب إلا أنها كانت تحس بالمتعة حين قراءتها: «مددتُ يدى أتلمس الكتاب الذى ينام تحت وسادتى. كان كتابا تافها، أحد تلک الكتب القليلة التى أصادفها فى بيوت الصديقات.» (المصدر نفسه، ٢٢)

كان الشوق إلى الحياة المتقدمة يشتعل فى داخلها باستمرار، فعندما ترى أخاها يستعد للذهاب إلى المدرسة تتأجج ثورة فى كيانها وتريد أن تثور على تلک الإهانات التى تصوّب نحو المرأة: «تحسست ثورة عتية تجتاح كيانى فى تلک اللحظة. تذكرتُ أخى يحزم حقائبه استعدادا للذهاب إلى المدرسة.» (المصدر نفسه، ٢١) يكمن فى قلب منى حب التحليق إلى أعلى السماء: «وقلبى...يطلب الارتفاع إلى فوق، إلى السماء» (المصدر نفسه، ٣٦)، إلى الحد الذى ترى فى أحلامها رؤى الطيران: «كنتُ واقفة قرب نهر أتأمل المياه الدافئة، والمروج المنبسطة على ضفتيه، وأعيش لحظات نشوة لا يعرفها الواقع. فجأة نبت لى جناحان، فرحتُ أطير وأعلو والنشوة العارمة ارتفع فى صدرى ثم إذا بى أهوى إلى عالم اليقظة.» (المصدر نفسه، ١٠٢)

كانت منى بسبب مرورها بتلک الظروف المعيشية فى القرية والطقوس الاجتماعية والثقافية تعانى من عقدة النقص مما تجلى فى شخصيتها وسلوكياتها بصورة مشهودة.

ومن أهم تجليات عقدة النقص فى هذه الشـخصية كما يلى: الهروب من الواقع وعدم التطابق الاجتماعى والتعويض.

الهروب من الواقع

مـن خلال أحداث الرواية نفهم أنه من قبل أن تأخـذ منى قرارا نهائيا للهجرة من القريـة، ذهبت فى يـوم من الأيام متجهة بقصد الهروب إلـى الصخرة التى كانت تحدد الفاصل بين القرية والعالم الآخر، ولكنها لم تتجرأ على الخروج من القرية، ربما مازالت القصص والأسـاطير المسيطرة على أجواء تلك القرية تشدها إلى هذه البيئة بالإضافة إلـى أن العالم الذى تعرفت إليه من خلال الكتـب التى قرأتها أو تصورته من أحاديث المهاجريـن مـازال فى هالة من الإبهام لديها؛ لهذا فضلـت أن تبقى فى الحد بين العالم التقليدى فى القرية والعالم المعاصر فى المدينة. لقد كانت تعلم منى جيدا أنها لكى تبقى فى القرية عليها أن تتقيد بقوانين القرية، لذا لم تستطع أن تأخذ قرارًا قاطعا للهجرة من القرية، وانطلاقا من هذا فى اليوم الذى قررت أن تترك فيه القرية بصورة جدية؛ لتصل للكمال وتثبت ذاتها وهويتها وشخصيتها المنفردة ومكانتها، كانت تعلم أن هذه آخر مرة يخـرج أهل القرية لتوديعها، وليس لها مكانـا فى القرية بعد ذلک: «لقد رفضتنى القرية لحظة انسـحبت من وجودها لأغرس قدمى فى تربة غـير تربتها.» (نصر الله، ١٩٩١م: ٢٤٤)

وكما أشـرنا أنـه لم تصل منى فى العالم الجديد للكماليـة المرجوة، حيث ظهرت لها المدينـة بغير الوجه الذى تحلم به، ولم تملک القدرة على التآلف مع بيئة المدينة الجديدة؛ لـذا بقيت فى عالم ما بين القرية والمدينة، واعتبرت نفسـها الخاسـرة فى هذا المجال: «بطلة حائرة فى حلبة الصراع.» (نصرالله، ١٩٩١ش: ٢٤٥)

إن الحياة فى المدينة مع كل إغراءاتها الفاتنة فقدت بريقها فى عينى منى، وبعد فترة من العيش فى المدينة لم تجد نفسـها إلا فى حالة من الشـعور بالوحدة والعزلة والحزن وضيـاع مغزى وجودها: «كنت صغيرة عديمة الخـبرة، وكان فى يدى دلو صغير وددت لو أرميه فى بئر الحياة. الحياة الكبيرة المجلجلة فى عالم خيالى.» (المصدر نفسه، ٢١٧)

الاهتمام الاجتماعى[1]

أول حاجة للإنسان حاجته للترابط والانتماء والتمتع بالمنزلة الاجتماعية. لقد اعتقد أدلر أن الفرد إذا لم يشعر أنه ينتمى إلى مجتمع أو بيئة ما، فإنه يكافح بكل جهده لإثبات ذاته وبالطبع إذا وصل إلى منزلته فهذه المنزلة غير صحيحة.

يعزو أدلر كل المشكلات الناتجة عن الانفعالات التصادمية والتعارضات إلى النقص فى الترابط الاجتماعى، ومن وجهة نظره الاضطراب والأمراض العقلية النفسانية والشرارة والدناءة، وكثير من الاضطرابات ردود فعل الفرد فى كفاحه للوصول إلى منزلته الاجتماعية التى ترتكز على الشعور بالنقص بصورة عميقة. (آدلر، ١٣٧٩ش: ٥٨)

فى رواية طيور أيلول تعانى منى من اللاوعى والشعور بعدم الانتماء للمجتمع، ونستطيع أن نتلمس هذا فى حوارها الذاتى والداخلى مع أبيها: «مَن أكون فى نظرك؟ من أنا؟ إمرأة، عالة، مصيبة، لعنة الضعف؟» (نصرالله، ١٩٩١م: ١٠٤)

لقد صنف أدلر نمط الحياة لدى الفرد على أساس التغلب على المشاكل ودرجة الاهتمام الاجتماعى إلى أربع مستويات،

١. النوع الأول: المسيطر أو المتحكم
٢. النوع الثانى: الآخذ أو المتلقى
٣. النوع الثالث: المتجنب
٤. النوع الرابع: المفيد اجتماعيا

النوع الأول «هو الذى يظهر السيطرة والتحكم، ويتصرف دون اعتبار الآخرين، وإن كان لديه اهتمام اجتماعى فيكون بدرجة قليلة. وهذا النوع بدوره ينقسم إلى نوعين من الأفراد حيث يكون النوع المفرط منه أكثر قسوة، ويعمل على إيذاء الآخرين ومهاجمتهم، وربما يكون جانحا أو طاغيا.أما النوع الثانى وهو الآخذ أو المتلقى والذى يعتبره أدلر من أكثر الأنواع شيوعا، فيكون الفرد فيه معتمدا على الآخرين فى إشباع حاجاته وتحقيق أهدافه متوقعا أن يحصل على كل شئ من الآخرين. والنوع الثالث

1. social interest

من أنماط الشـخصية هو المتجنب الذى يتجنب المشاكل والاتصال بالآخرين والمحاولة، وهـو لا يبدى أى محاولة لمواجهة تحديات الحياة وإيجـاد الحلول لها، ومثل هذا النوع لديه ضعف من الاهتمام الاجتماعى. اما النوع الرابع وهو المفيد اجتماعيا حيث يتمتع الفرد بدرجة عالية من الاهتمام الاجتماعى فهو يتعاون مع الآخرين، ويسعى إلى تلبية حاجاتهم.» (آدلر، ١٣٧٩ش: ١٢١ و١٢٢)

إذا أخذنا فى الاعتبار مميزات شـخصية منى وسـلوكياتها وارتباطها مع الآخرين فى المجتمع القروى، يمكننا أن نصنفها ضمن النوع الثالث أى المتجنب؛ لأنه على الرغم مـن أنها كانت تبحث عن ذاتها ووجودهـا، وكافحت فى هذا المجال إلا أنها اختارت طريقا متوَّهما وغير مدروس لإثبات ذاتها. فالهروب من القرية واللجوء للمدينة وإنهاك الروح والجسم فى دوّامة الحياة المدنية المميتة، والاختفاء فى ازدحام الناس، والشعور بالاحباط وعدم الأمان والميل للعزلة وعدم الارتباط الروحى وعدم وجود الدافع لبناء وايجـاد التغيير فى الظروف الاجتماعية والثقافيـة والاقتصادية فى القرية، كل هذا إن دلّ على شـيء، فيدل على أن منى شـخصية متجنبة؛ لأنها بسبب إحباطها وشعورها بالنقـص لم تجـد فى وجودها القدرة على العطاء وإفادة القرية: «لا لن أبقى هنا. بقائى لا يعيد المرح إلى الأمسـيات السـاحرة، لن يعيد الخير إلى الأراضى الجدباء. يداى لا تجهلان إطعـام دود القز وغزل الحرير وأذناى لم تعتادا سمـاع "طقة" النول.» (نصرالله، ١٩٩١م: ٢٠٤)

ونسـتطيع أن نفهـم من كلام وتصرفات منـى أنها وصلت بالنسـبة لمفهوم وجودها إلى نوع من الفراغ، حيث أن هذا الشـعور نشـأ لديها نتيجة عوامل اجتماعية داخلية وخارجية، ويمكن القول أن الشعور بالنقص والإحباط الناتج عن الفشل فى قصة حب وعدم التكيف مع البيئة المحيطة واليأس وخيبة الأمل من أسـباب بروزها. وانطلاقا من هذا الشـعور لا يتصور للبشرية مصيرا غير الهلاك والدمار؛ ولهذا وجدت منى تشابها بين مستقبلها وأوراق الأشجار الخريفية: «أهذا مصيرنا يوما؟» (المصدر نفسه، ٢٣)

لقد شرح أدلر أيضا العوامل التى تساهم فى إيجاد الشعور بالترابط الاجتماعى فى الطفل وتعتبر الأسـرة إحدى العوامل المشـار اليها وقد أكّد أدلر على دور الأم من بين

أفراد الأسرة تاكيدا خاصا فى هذا المجال. «تستطيع الأم من خلال سلوكها نحو الطفل أن تُنشئ وتنمّى الرغبة الاجتماعية أو تستطيع أن تحرف أو تعوق نموّها. فالأم يجب أن تعلّم الطفل مفاهيم التعاون والشجاعة، عندئذ فقط يستطيع الطفل أن يعمل بشجاعة فى محاولاته للتغلب على مشاكل الحياة.» (آدلر، ١٣٦١ش: ٥٦)

إن الوالدين لاسيما الأم فى الفترة المهمة لنمو شخصية الطفل وتكوينها عند وضع "شروط للتقييم" يعرضان قوة شخصية الطفل للخطر، إن الإفراط فى الأوامر والنواهى يؤثر على اعتماد الطفل على نفسه ويعوق إبداعه وهذا السلوك يكون سببا فى منع الطفل من التفوق والوصول للكمال الذى قصده أدلر. (rogers.1995:198)

فالأمهات كشخصيات فى رواية طيور ايلول أمهات فى الواقع عشن حياة قاسية فى القرية تحت وطأة الظلم من السيطرة الذكورية، ولم يحققن الكثير من آمالهن واحتياجاتهن، كل منهن تقوم بواجبها نحو الأسرة كأم وزوجة ولم تبح بما يدور فى خلجات نفسها على الإطلاق، وكأنها جُبلت على ذلک، على سبيل المثال أم منى هى أم من النوع التقليدى والمحافظ، وكانت تشجع ابنتها دائما على الالتزام بالأعراف والطقوس المسيطرة على أجواء القرية: «أنت لا تشبهين الفتيات الطائشات. أنت تختلفين عن الجميع ...» (نصرالله، ١٩٩١م: ٤٣)، «البنت الشريفة لا تعاشر الشباب لا تتطلع إلى وجوههم» (المصدر نفسه، ٣٥)، أو عندما يخطب رجل كهل منى من أهلها، ترسم منى صورة أمها فى هذا الموقف، صورة امرأة مصالحة يغلب عليها الصمت: « كنتِ صامتة بالأمس.. حين زارنا ذلک الكهل يجره أبو الياس: « أمريكائى ...وغنى. شو بدک أكثر من هيک؟» (نصرالله، ١٩٩١م: ٦٢)

ولهذا كانت أم منى شخصية تتسم بالضعف، وبالتالى لم تستطع أن تُوجِد الشعور بالكرامة والفخر والقدرة على مواجهة مشاكل الحياة وتخطى الصعاب فى شخصية ابنتها، كما أنها امرأة بسيطة ومتوافقة ليس لديها ثقة بنفسها، وعلى هذا لم تستطع أن تغرس حب التعاون والشعور بالاهتمام الاجتماعى فى شخصية منى: «لا لن أبقى هنا. بقائى لا يعيد المرح إلى الأمسيات الساحرة لن يعيد الخير إلى الأراضى الجدباء.» (المصدر نفسه، ٢٠٤)

يركـز أدلر بعد شـخصية الأم على شـخصية الأب تركيزا خاصا، مـن وجهة نظره على الرغم من أن ارتباط الطفل بأبيه فى السـنوات الأولى من حياته أقل، ولكن هذا الارتباط يترك تأثيرا ذا أهمية فيما بعد فى حياته. منذ الولادة يجد الوليد الجديد نفسه فـى موقف يتطلب التعاون مع الآخرين أولا فى أعضـاء العائلة الآخرين، وأخيرا مع أولئک الذين هم خارج البيت. فى الأسـر التى تعتمد على السـلطة الأبوية، ويسـتند الأب على مسند أعلى من الآخرين، نجد أعضاء الأسرة دائما فى حالة صراع وغضب، والأولاد تتكون لديهم نظرة خاطئة عن مكانة الرجل وحقوقه، ويأخذون مواضع الآباء، أما البنات إذا وصلن لسـن الرشـد يتصورن أن كل الرجال متغطرسون وقواد، ونتيجة الزواج لديهن لا شيء سوى ى الخضوع والطاعة والمخالطة. (أدلر، ٢٠٠٥م: ١٧٤)

وهـذا يدل على أهميـة معاملة الوالدين ودورها الكبير فى صقل شـخصية الطفل، صـورة والد منى فى الرواية المذكورة صورة تقليدية مـن المجتمع الذى يخضع للنظام الأبوى وسـيطرة رب العائلة. وعندما نتصفح الرواية من بدايتها لنهايتها لم نجد مقاطع حواريـة بين والـد ووالدة منى، و لا يوجـد اهتمام أو تعاون اجتماعى أو استشـارة بينهما فى داخل الأسـرة. شـخصية والد منى تبدو لنا بشكل أب يصدر أوامره الجافة والصارمة، والتى تخلو من المشـاعر اللطيفة نحو الأنثى: «نظراته القاسـية المستقرة إلى الوجود والإنسان وإلى ابنته بنوع خاص.» (نصرالله،١٩٩١م: ٣٥)

من العوامل الأخرى التى تسـتطيع أن تلعب دورا مهما فى إيجاد الاحساس العام والتعاون الاجتماعى، هى المدرسـة: «تلعب المدرسـة بعد الأسرة دورا مهما فى إيجاد العلاقـة الاجتماعية وغرس مفاهيم التعاون الاجتماعى، فالعلاقة بين المعلم والطفل لها أهميـة خاصة فى تطوير الرغبة الاجتماعية، «تُعدّ المدرسـة بالنسـبة للأطفال الذين لم تتوافر لهم الظروف فى البيت والأسـرة للتعرف على الاهتمام الاجتماعى والتكيف مع متطلبات المجتمع مكانا مناسبا للوصول إلى ذلک الهدف.» (أدلر، ٢٠٠٥م: ١٧٥)

فـى رواية طيور ايلول كان للمربيين والناشـطين فى الأجواء التعليمية أيضا الدور الأساسـى فى سحق المشـاعر الغريزية لدى الشـباب، فهم من البداية يبدؤون بتلقين الأطفال أن الإنسـان مخلـوق دنس والحب خطيئـة قاتلة. بالطبع مثل هـذه البيانات

متعارضة مع مفهوم التنشـئة الاجتماعية للطفل؛ لأن الشـخص الذى يعتقد أن الإنسان مخلوق دنس لديه عزة نفس هشة ومتزلزلة، لذا لا يستطيع أن يحب نفسه أو الآخرين.

كانـت منـى من خلال الرواية تتحدث عـن معلمة كانت على الرغـم من معاناتها من المشـاكل الروحية والنفسية تقوم بمهمة تنشـئة أطفال القرية: «ومعلمتى؟ أما تزال تعيش فى ذلک الكبت القاتل، تصب نقمتها الروحية والجسـدية فى النصح والإرشاد» (نصرالله، ١٩٩١م: ٣٥)، ومن هنا نفهم أن المعلمة ذاتها كانت تعانى من الشعور بالنقص والذى تبدل إلى عقدة النقص لديها. بالتأكيد مثل هذه المعلمة لا تستطيع أن تكون مربية مناسبة للأطفال لمساعدتهم على التغلب على مشاكل الحياة التى يجب أن يحلها كل فرد. فالطفل الذى ينشـأ على أسـاس هذه التعاليم بالتأكيد لا يسـتطيع أن يكوّن لنفسه نمط حياة يتميز بالتعاون والالتزام بالمسـؤولية والمشاركة والمساهمة، وعلى هذا لم يجد حلا أمامه للتخلص من الضغوط الاجتماعية والنفسـية إلا الهروب: «رحتُ باكرا أبحث عن عالم لا تصل إليه أقوالهم، ولا تطاله انتقاداتهم.» (المصدر نفسه، ٣٦)

التعويض[1]

التعويض فى علم النفس هو استراتيجية يحاول من خلالها الشخص، بصورة واعية أو غير واعية، التغطية على ضعف أو رغبة أو إحساس بعدم الكفاءة أو العجز فى أحد جوانب الحياة، عن طريق الإشباع أو التفوق فى جانب آخر. التعويض يمكن ان يغطى عيوبًـا حقيقية أو متخَيلة، فردية أو فيزيولوجية، التعويض الإيجابى يسـاعد الشـخص فـى التغلب علـى الصعاب فى حين أن التعويض السـلبى يمكن أن يعزز الإحسـاس بالنقص والدونية. (آدلر، ١٣٧٩ش: ٥٤) عندما يكافح الانسـان ويسـعى للتغلب على عجزه حسـب طريقته الخاصه وبأساليب صحيحة وفى نطاق طبيعى، فانه يكون قد قام بتعويض ناجح والذى نطلق عليه التعويض المباشر. (عبدالمنعم، ١٩٧٥م: ١٥٢)

مـن وجهة نظر أدلر فـإنّ الإعتراض من غير وعى والهـروب من تكوين علاقات اجتماعية والتعويض عن طريق التوسـل بالتميز الفورى (مثل الانتقام والسبّ والشتم

1. Compensation

والغضب والاعتداء و...) ورفع مستوى الانتظار والتعويض الافترائى من ردود الفعل السلبية بالنسبة لعقدة النقص، وبالطبع فى حالة ارتفاع مستوى الوعى والإدراک يتم التعويض الإيجابى مثل تعديل السلوک العدوانى. (منصور، ١٣٩٢ش: ١٤٥)

التعويض الوهمى

إن أحد أنواع التعويض السلبى هو التعويض الخيالى أو الوهمى، ففى هذه الحالة يجنح الفرد إلى عالم الخيال ولتعويض عجزه يعتمد على التصور والأحلام. «الهروب إلى عالم القراءة والتمثيل أو الاستمتاع بما يحسن الجمال أو اللجوء إلى النشاطات غير المثمرة، مثل: جمع المجموعات وطرق البحث عن الرفاهية والرخاء والأناقة إلخ ...كلها من العوامل التى تساعد على التعويض الوهمى.» (منصور، ١٣٩٢ش: ٤٥)

كانت منى تعيش تمزقًا جليا بين الموجود والمنشود، مما أنشأ لديها مشاعر متناقضة بالنسبة للبيئة التى حولها ، فكانت تلجأ للخيال كثيرا، ومما ساعدها فى ذلک جمال الطبيعة القروية الخلابة، فكانت على الرغم من أنها تعشق الأرض، وتعشق الطبيعة إلا أنها كانت تنفر من العادات والتقاليد المسيطرة على القرية، وتسعى فى أحلامها أن تهرب من مشاعر النقص والنبذ والانزواء التى تشعر بها فى بيئتها؛ لذا كانت تهرب من الواقع فى قوقعة ذاتها؛ لتبحث عن حبها وحب جميع فتيات القرية الضائع، إن الحب كان حلقتهن المفقودة التى ضاعت فى عالم النسيان وسط زحام العادات والأعراف البالية: «كان الحب أنشودة خيالية... كنتُ أرسم له صورة بين الصور الكثيرة المرصوفة فى خيالى، حتى بات هذا الرسم الوهمى هواية اجتهدتُ فى إتقانها؛ لأفزع إليها كلما ضاقت أنفاسى، ومات الأمل الأخضر فى عينى.» (نصرالله، ١٩٩١م: ١٣٦)

فيمكننا أن نعتبر طريقة شخصية منى فى تعويض مشاعر النقص عندها من نوع التعويض الوهمى، فصورة المدينة التى صاغتها منى فى مخيلتها هى صورة وهمية، فالمدينة بالنسبة لها بمثابة مكان للنجاة والطموح والتحرر من القيود ومكانٌ: «تزول الشقوق من الأنامل والأقدام. تبقى القمصان بيضا، ولا يغمسها العرق.» (المصدر نفسه، ٢٢٦) تواجه منى من خلف ستائر الخيال عالما مجهولا لا تعرفه بوضوح، وكانت تعتقد أنها تستطيع

أن تصل فى مدينتها المثالية للسعادة والأمان، وتخفف من الفراغ والحرمان المعاش فى القرية: «فى المدينة أدفن قلقى وحيرتى وأودّع وحدتى القاسية.» (المصدر نفسه، ٢٢٧)

من وجهة نظر أدلر: «الإنسان يلجأ للأوهام؛ ليكوّن لنفسه عالما مليئا بالتفوق والسعادة، ويحصل على أحلامه بعيدة المنال بسهولة، فالشخص المصاب بعقدة النقص يهرب من الواقع، ويغوص فى عالم الأوهام والتصورات.» (آدلر، ١٣٧٩ش: ٤٥) إن نظرة منى للمدينة باعتبارها ملجأ مثاليا تكونت على أساس قوى تخيلية ذهنية لم تكن واقعية.

دراسة عوامل إيجاد عقدة النقص لدى شخصية منى

لقد تحدثنا حول تجليات عقدة النقص لدى شخصية منى ولكن لكى نناقش العوامل التى سببت إيجاد عقدة النقص بصورة خاصة فى هذه الشخصية سنشير إلى ما يلى:

الطرد والنبذ (التهميش الاجتماعى)

الشعور بالطرد والنبذ من العوامل التى تسبب إيجاد عقدة النقص عند الأطفال وهذا الشعور لم ينشأ بسبب معاملة العائلة فحسب بل يلعب المجتمع أيضا دورا مهما فى إيجاده فى بعض الأحيان. احساس الاستبعاد الاجتماعى، وكما يعرف باسم التهميش الاجتماعى، وهو الحرمان الاجتماعى لمدة طويلة والإبعاد على هامش المجتمع، ومن نتائج الاستبعاد الاجتماعى هى: أن الأفراد أو المجتمعات المتضررة يمنعون من المشاركة الكاملة فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية للمجتمع الذى يعيشون فيه. إن التهميش الاجتماعى يحدث عندما يعانى الأفراد أو المجموعات من ظروف مثل البطالة أو العنصرية أو المرض أو ... . (فيروز آبادى وصادقى، ١٣٩٢ش: ٢٣٤)

تعيش منى الشخصية المحورية للرواية فى أسرة قروية مسيحية، الأب هو رب الأسرة الذى يرسم الخطوط الأساسية للأسرة والأم هى المطيعة والخاضعة فقط، وتقوم بتدبير شؤون البيت، أو معاشرة نساء القرية والاشتراك معهن فى مجالسهن، علاقة منى بأبيها لا تتعدى الحوارات الباطنية، ولم تحدث بينهما محاورات واقعية، فالأب لديه أفكار وآراء عامة حول المرأة ومكانتها، ومنى باعتبارها من الجيل الجديد فى القرية تختبئ خلف كواليس الحياء والخجل، ولا تستطيع إبداء احاسيسها و أفكارها: «نظراته

القاسية المستقرة إلى الوجود والإنسان، وإلى ابنته بنوع خاص.» (نصرالله، ١٩٩١م: ٣٥) تعيش منى فى أسرة كهذه تحكمها عادات وتقاليد أهل القرية وتنظر إلى نفسها بأنها غير مُجدية وغير مهمة فى مسيرة الحياة البشرية، فالشعور بالكآبة والدونية والنبذ أنشأ لديها عقدة النقص وعدم الثقة بالنفس فى البوح بأفكارها ومتطلباتها وميولها.

كانت الظروف الاجتماعية السائدة فى القرية تزيد من تأجيج عقدة النقص هذه عند منى، وكان أكثر شباب القرية إما بصدد الهجرة أو قاموا بالهجرة بالفعل، ولكن الشابات كنّ فى ظروف أخرى، فلم تسمح لهنّ الطقوس بإكمال تعليمهن أو الزواج ممن يرغبن أو حتى الهجرة، التحدث عن الحب أو حتى التفكير فيه خاصة للفتيات يعتبر خطيئة كبيرة لا تُغتفر، والعاشق إنسان دنس وسيكون عارًا على أهالى القرية حتى آخر عمره: «الإنسان كائن دنس، والحب خطيئة مميتة.» (المصدر نفسه، ١٥٠) لم تجد منى من ناحية طريقًا للتحدى مقابل العقليات البالية والعادات والتقاليد المسيطرة ولم تتصور فى نفسها القدرة على حل مشاكلها، ومن ناحية أخرى أُصيبت بالتردد بالنسبة لكل الأصول وتيارات التقاليد القروية: «كيف يمكن أن يكون الإنسان دنسا؟» (المصدر نفسه، ٣٥)؛ ولهذا ظلت منى تعيش تمزقا جليا بين الموجود والمنشود، بين قرية أنجبتها واحتضنتها بكل ما فيها من عفوية وبساطة وتناقضات، وعالم بعيد، لا تكاد تراه، وإنما تحلم به، وكانت حائرة بين طقوس القرية القديمة وثقافة المدينة الجديدة التى تعرفت عليه من خلال الذين هاجروا من القرية.

يعتقد أدلر أن العادات والتقاليد الثقافية – وليست الجينات الثقافية – تؤثر على الكثير من الرجال والنساء حتى يركزوا على أهمية الذكورة بصورة إفراطية، الحالة التى سماها "إثبات الرجولة أو نزوع الرجولة"، فى بعض المجتمعات يعتبر الرجال والنساء المرأة كائنا حقيرا، وتُعد هذه الحالة المؤسفة سببًا لكثير من التخاصمات بين الزوجين، والشعور بالتميز وعقدة النقص. (أدلر، ٢٠٠٥م: ١٣٥)

المرأة فى المجتمعات التقليدية كالمجتمعات الريفية لم تجد بدا إلا أن تتبع ثقافة السلطة الرجولية، حيث ينظر إليها بأنها غير مجدية بسبب جنسيتها، وليس لها أى حق فى إبداء رأيها فى القرارات المتخذة بمجريات الأمور، وفى مسار القدرة التى يتمتع بها

الرجل، فالمرأة ذاتها برضوخها تحت قوانين وقوالب العادات والتقاليد والثقافات البالية تؤجج شعورها بالدونية والنقص. وهى بدورها تنقل هذا الشعور إلى مثيلاتها. على سبيل المثال عندما تتحدث منى لصديقتها مرسال عن أحلامها، تجيب مرسال: «ماذا يقول الناس؟ تذهبين إلى المدينة وتعيشين فيها وحدك مثل الشباب؟ لا شك أنك تمزحين يا منى!.» (نصرالله، ١٩٩١م: ٢٤)، هذه العبارات تبين أن فتيات القرية لم يدركن بعد قدرتهن كفاعلات للدخول فى مجتمعات أوسع، ولم يقدرن أن يكوّنن لأنفسهن ذاتا مستقلة، وهوية مؤثرة بسبب التحقير والإحباط الاجتماعى الذى يواجهنه.

الفشل فى الحب

من الأمور التى تساهم فى إيجاد عقدة النقص والإحباط فى شخصية منى كان اليأس والإخفاق فى العثور على الحب الحقيقى أو الحب التام[1]، «الحب الذى يحوى ثلاثة عناصر أن يكون من صميم الفؤاد ويتصف بالشوق والالتزام، الحب الكامل والقابل للثناء.» (Sternberg,1986:124)

كانت منى تبحث عن هذا الحب، ولكنها لم تجده، إن إحباط منى فى العثور على هذا الحب نشأ عندما فشلت قصة حب مرسال وراجى. من وجهة نظر منى فإن حب مرسال لراجى من النوع الكامل، ولكن حب راجى لمرسال حب غير واقعى، بل علاقة حب من النوع البسيط الذى يخلو من العلاقة الوطيدة والالتزام الطويل الأمد، أى فى حدود صداقة و إعجاب فقط: «كان حبه لمرسال شبيها بحبه للأرض حبا فطريا ساذجا لا يصمد أمام عواصف الطموح.» (نصرالله، ١٩٩١م: ٩٥)

كل إنسان يحتاج فى أعماق وجوده إلى مَن يفهمه، ويحبه من صميم فؤاده، ويعرف حاجاته، ويتجاوب مع ميوله العاطفية، لذلك عندما لم تجد منى الحب المنشود حولها اتجهت لذاتها، وحاولت أن تخلق مفهوم الحب الخالص والكامل فى طيات وجودها واستفادت منه لملء فراغها النفسى: « لقد أحببت كثيرا يا مرسال، كان الحب مصدر قوتى التى تعجبك. إن معاصر العنب تعج بالحياة فى فصل الخريف، ولكن للحب معصرة

1. consummate love

دائمة فى قلبى. إننا كنا نختلف فى أسلوب الحب يا مرسال.» (نصرالله، ١٩٩١م: ٣١)

إن الإخفـاق فى العثور على الشـخص الذى يتمتع بتلـك الصفات المثالية، وعدم وقوع حدوث الحب الواقعى من الأسباب التى تُوجد الشعور بعقدة النقص والدونية.

القرية التى تعيش فيها بطلة الرواية منى تسيطر عليها طقوس تمنع البوح بالحب بين الصبى والصبية سـويا، وكان إظهار الحب نوعا مـن الخطيئة وبالطبع كان هذا القانون يطبق على الأنثى بصورة أشـد، زواج الشباب فى القرية كان يخضع لأعرافها، والقرار الـذى يتخذه الوالدان خاصة السـلطة الأبوية، ولم يكن هناك مجالا للاهتمام لمشـاعر الشـابين المقبلين على الزواج بتاتا، ولم تسـتثنَ منى من هذه القاعدة القاسية، ولو أنه لم يواجهنا على طول الرواية أى حديث أو إشـارات واضحة عن أى مشـاعر حب من قبل منى لأى شـاب فى القرية، إلا أنه نجد فى عرض مشـهد من حفلة زفاف ابن عم منـى حالتها التى تدل على الارتباك والضيق: «لم تعـرف أمى لماذا انزويت أبكى فى عرس "سـعد" سـعد ابن عمى تزوج... فهربت من العرس ولجأت إلى غرفتى أبكى.» (المصدر نفسه: ٤٤)

ظروف منى النفسـية خلال عرس ابن عمها تشـير إلى أنها بحاجة إلى أن تُحِب أو تُحَب، ولكن بسبب الأجواء الثقافية والاجتماعية القاسية التى تخيم على القرية ووثوقها من النهايات الفاشلة لقصص الحب رجحت كبت مشاعرها العاطفية للأبد.

الفقر

إن فقر الأسرة وعجزها عن تلبية حاجات الأطفال والأولاد والبنات يمكن أن يكون من أسباب إيجاد العقدة بالنقص عند الفرد. «لا يمكن أن ننسى بأن الظروف الاقتصادية للأسرة تؤثر فى نظرة الطفل للحياة، فالفقر يسبب نوعا من الاحساس بالعجز لديه لأنه يقارن نفسه بأصحابه الأثرياء.» (آدلر، ١٣٧٨ش: ١٢٣)

أهالى القرية التى تسـكنها منـى يعانون من الفقر وجدب العيـش المتواصل فيها، مما سـبب الإضرار بالمحاصيل الزراعية، وما تبقى منها لم تُدرّ دخلا للفلاحين فى بعض السـنين بسـبب عدم دعم الحكومة، فالفقر والعوز والعسـر هو العامل الأساسى لهجرة

شـباب القرية للمدن: «فالعطاء الشـحيح لا يشفى الغصص المحشرجة فى صدور يدقها الطموح فى كل لحظة.» (نصرالله، ١٩٩١م: ٩٢)كما دفع الإعسار إلى زواجات إجبارية: «وتعلم أنها ضحت، وضحت بالكثير، لإنقاذ عائلتها من الفقر.» (المصدر نفسه، ١١١)

معاناة شـباب القرية من الفقر والظروف المعيشـية القاسـية من ناحية ومواجهتهم للمهاجرين الذين يتمتعون بالثراء والرفاهية، سبب إيجاد الشعور بالنقص والعجز عندهم وعاقبة هذا الشـعور كان هجرة الشباب من القرية والانفصال عن جذورهم وثقافاتهم، وكانت منى باعتبارها من فتيات تلك القرية تعانى من هذا الشعور.

النتيجة

بعد دراسة شخصية منى فى ضوء نظرية أدلر فى علم النفس الفردى مع التأكيد على عقدة النقص توصلنا إلى النتائج التالية:

لقـد اسـتطاعت إميلى نصـرالله أن تُرى القارئ طيات شـخصية منـى من خلال منولوجاتها، أو حوارها مع الشـخصيات الأخرى؛ ولهذا أوجدت شخصية بطلة الرواية إلى جانب الشخصيات الأخرى مجالا مناسبا للدراسات النفسية.

وانطلاقا من أدلة أدلر المذكورة حول كيفية تكوين عقدة النقص فى أنماط الشخصية المختلفة، فإن شـخصية منى بسـبب تعرضها للنبذ والإهمال والتهميش الاجتماعى من جانب أسرتها والمجتمع القروى بسبب أنوثتها ومكانتها والطقوس الاجتماعية القاسية، بالإضافة إلى الفقر والشـعور بخيبة الأمل لاكتسـاب الحاجـات الأصلية مثل التعليم والاحباط فى قصص غرام غير مكتملة وعدم القدرة لنيل الحب الحقيقى التى عايشتها، كل هـذه العوامل مجتمعة سـاعدت على إصابة منى بعقدة بالنقـص، ولتعويض النقص والتخلص من هذا الشعور لجأت منى لاتخاذ آليات متعددة واستراتيجيات غير واقعية ومفرطة ومؤقتة. ومن ضمن هذه الطرق، التعويض الوهمى أو الخيالى، يعنى اللجوء إلى تخيلات للخروج من الأزمات النفسـية والروحية. وكانت منى تتصور المدينة بأنها الجو المناسـب للحرية والتخلص من ورطاتها ومشاكلها النفسية والاجتماعية، وأيضا لجأت إلى آلية الهروب من الواقع للتخلص من المشـاكل، ولأنها تتسـم بالشـخصية التجنبية

وتعانى من اضطراباتها لا تناضل من أجل حل المشـاكل، وتجد الحل فقط فى الهروب من البيئة التى تثقل كاهلها، فهى التى كانت تعقد آمالها على الحياة فى المدينة وفى بيئة عصرية جديدة، تجد الآن نفسـها أمام حلمها الـذى تحقق، وتعيش فى المدينة الفاضلة التى كانت فى خيالها، إلا أنها لم تنجح فى إيجاد التآلف بين ماضيها ومستقبلها، ومازالت تعيش حائرة بينهما، وتمر بأزمة التعرف على ذاتها وهويتها.

أسـلوب حياة منى يدل على أنها كانت واعية بمشـاكل الحياة فى المجتمع الريفى، وكانت تنتقد دائما تلك العقليات والعادات والتقاليد، إلا أنها لم تستطع تعويض الشعور بالنقص لديها علاوة على ذلك تشـكّل لديها شـخصية حائرة. عـدم اهتمام والد منى بابنته بسبب تصوراته الخاطئة بالنسبة للأنثى وضعف شخصية أمها وتأثير بعض التعاليم الخاطئة من قبل العاملين فى مجال التربية والتعليم فى البيئة الريفية كقولهم أن الإنسان مخلوق دنس، سـبب فقدان الثقة بالنفس فى شـخصية منى وفقدان الاعتقاد بأنها مفيدة اجتماعيـا وعدم قدرتها علـى مواجهة تحديات الحياة من أجـل إيجاد الحلول لها مما جعلهـا تصاب بالحـيرة وخيبة الأمل، ويمكننـا أن نقول أن عدم قـدرة منى فى ايجاد التطابق بين ظروف البيئة القروية وظروف المدينة العصرية يرجع إلى العوامل المذكورة.

المصادر والمراجع

آدلر، آلفرد. (١٣٦١ش). روانشناسى فردى. ترجمه حسن زمانى شرفشاهى. تهران : پيشگام.

ـــــــــــ (١٣٧٨ش). نظريات كاربردى تربيت كودكان. ترجمه محمد حسـين سـرورى. تهران: انتشارات سازمان اوليا و مربيان.

ـــــــــــ (١٣٧٩). طبيعت انسـان از ديدگاه روانشناسـى. ترجمه طاهره جواهر سـاز. تهران: انتشارات رشد.

ـــــــــــ (بى تا). معنى زندگى. ترجمه عنايت الله شكيباپور. تهران: انتشارات شهريار.

ـــــــــــ(٢٠٠٥م). معنى الحياة. ترجمه عادل نجيب بشرى. ط ١. القاهره: المجلس الأعلى للثقافة.

ـــــــــــ(٢٠٠٥م). الطبيعة البشرية. ترجمه عادل نجيب بشرى. ط ١. القاهره: المجلس الأعلى للثقافة.

ايگلتون،ترى. (١٣٦٨ش). پيش درآمدى بر نظريه ادبى. ترجمه عباس مخبر، تهران: نشر مركز.

اسـپربر، مانس. (١٣٧٩ش). تحليل روانشناختى اسـتبداد وخودكامگى. ترجمه على صاحبى. چاپ دوم. تهران: انتشارات ادب ودانش.

سیاسی، علی اکبر. (۱۳۸۸ش). نظریههای شخصیت با مکاتب روانشناسی. چاپ هشتم. تهران: مؤسسه چاپ وانتشارات دانشگاه تهران.
شمیسا، سیروس. (۱۳۸۸ش). نقد ادبی. چاپ سوم. تهران: نشر میترا.
صنعتی، محمد وساموئل بکت. (۱۳۸۲ش). تحلیل روانشناختی در هنر وادبیات، مجموعه مقالات محمد صنعتی وجنب وجوشهای ایستا اثر ساموئل بکت. چاپ دوم. تهران: نشر مرکز.
عبدالمنعم، حفنی. (۱۹۷۵م). موسوعة علم النفس والتحلیل النفسی. ج۱. القاهرة: مطبعة مدبولی.
فیروزآبادی، سید احمد؛ علیرضا صادقی. (۱۳۹۲ش). طرد اجتماعی؛ رویکردی جامعه شناسی به محرومیت. جامعه شناسان: تهران.
منصور، محمود. (۱۳۹۲ش). احساس کهتری، به انضمام بررسیهای بالینی أدلر، نظریههای بنیادی، تک بررسیهای بالینی. چاپ چهارم. تهران: انتشارات دانشگاه تهران.
مهدوی کنی، محمد سعید. (۱۳۹۰ش). دین و سبک زندگی، مطالعه موردی شرکت کنندگان در جلسات مذهبی. تهران: دانشگاه امام صادق.
نصرالله، امیلی. (۱۹۹۱م). طیور ایلول. چاپ هفتم. بیروت: نوفل.
Adler.Alfered. 1956.The individual psychology of Alfred Adler. New York: basic Books.
Rogers.Carl.(2004). on becoming a person: A Therapist's View of Psychotherapy. Constable & Robinson Ltd.
Sternberg, Robert J. (1986). A triangular theory of love. Psychological Review.Vol. 93. No. 2. 119-135

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی